الموضوع:

# "الإنساني بين الكثرة و الوحدة"

DEVOIR.TN Tunisie

# "الإنساني بين الكثرة و الوحدة"

1- مطلب الكليّة:

يطلق الكلي على ما تشترك فيه أشياء كثيرة بمعنى واحد و هو ما يقابل الجزئي مثال كلي هو ما يشترك فيه جميع البشر (مثال العقل) و هو ما يجعل كل فرد إنسانا و ليس شيئا آخر.

لماذا اهتمت الفلسفة بالكليّ؟

انشغلت الفلسفة بمسألة الكليات و الجزئيات فاعتبر الكليّ هاجسها الرئيسي في مختلف مظاهره انطولوجيا ابستومولوجيا و اكسيولوجيا.

- يظهر الكلي في مستويات ثلاث:
  1. الكلي الإنساني: الانطولوجيا ، الانثربولوجي.
  2. الكلي المعرفي: الابستومولوجيا.
  3. الكلي القيمي: اكسيولوجي.

يعرف الكلي إذن بأنه «كل لفظ تدلّ به على أشياء كثيرة بمعنى واحد بقولك حيوان، سواء كانت كثيرة في الذهن أو في الوجود لذلك كان الكلي هو واحد الدّال على الكثرة.

يقول أرسطو:"**الكلي هو ما ينطبق على كل الحالات يستحيل إدراكه لأنه ليس شيئا محدّدا و لا لحظة محدّدة و إلا ما كان له أن يكون كليّ**".

يثار الكلي من خلال مسألة الإنساني بين الكثرة و الوحدة و يعالج من خلال مسألة الإنيّة و الغيّرية.

الإنساني: يشير إلى ما به يكون الإنسان إنسان.ا

فماهو الإنساني؟

هل هو معطى ثابت أم يتحقق تاريخيا؟

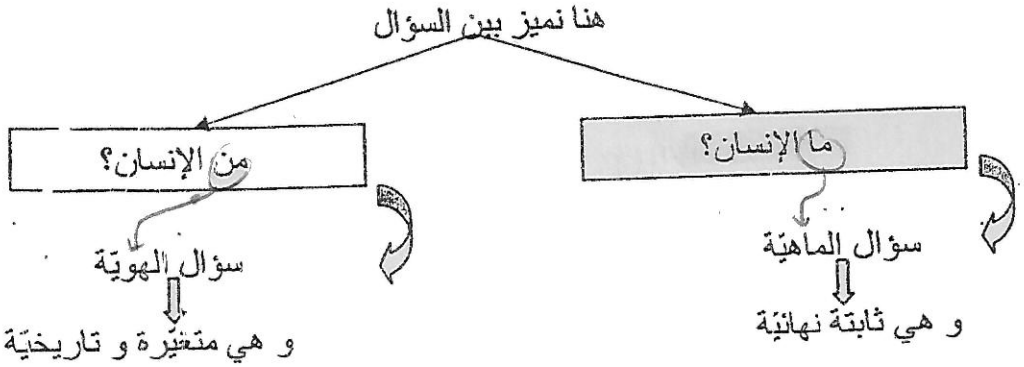


رغم أن اهتمامنا بالإنسان يدرجه ضمن ماهيّة ثابتة إلا أنه متكثر من جهة أنه كائن تاريخ مغيّر يقول عنه غرامشي: هو "**حركة أفعاله بالضبط**" فالإنسان "**صانع حياته، تاريخه، و مصيره**".

Tunisie DEVOIR.TN

| | التعريف |
|---|---|
| الكثرة | ما يقبل التغيّر و الزوال لأنها ترتبط بالعرضي، المادي و الحسي أي ما يدخل في باب الممكن، الحادث و المؤقت. |
| الوحدة | نوع من الخصائص الثابتة التي تقوّم وجود موجود ما. |
| الآنية | مشتقة من النّاسخ الحرفي "إنّ" و تفيد التأكيد بمعنى إثبات الوجود و تأكيده.<br>الآنية تشير إلى وجود الشيء و إلى إثبات تحققه عينيا. |
| الغيرية | الغير يفيد التميّز و الاختلاف.<br>الغيرية تشير إلى كل ماهو متميّز عن الأنا ، مختلف عنها. |

إذن في مرحلة الاهتمام الأولى يتركز النظر على الإنساني بين الكثرة و الوحدة و يعالج من خلال مسألة الإنية والغيرية.

2- الآنية و الغيرية:

المشكل المطروح:

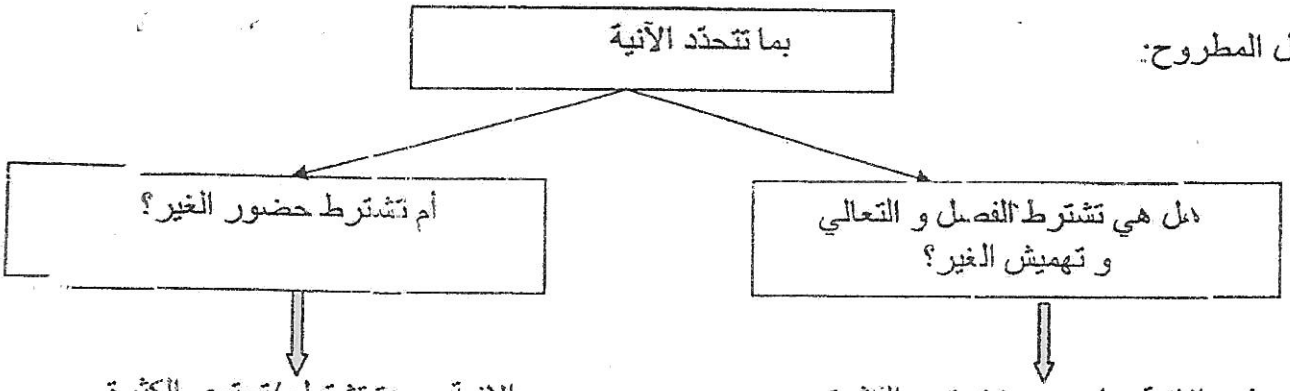


2-1 الانية تتحدد باستبعاد الغيرية:

- ✓ تتحدد الإنية بماهي وحدة يستوجب إقصاء الكثرة.
- ✓ العلاقة بين الأنا و الغير علاقة نفور و تصادم.
- ✓ الفكر وحدة محدد للإنية و لا ينفصل عنها.
- ✓ الإنية ماهية كلية/ وحدة لا مشاركة فيها للغيرية .
- ✓ الانية المتوقفة على نفس المفكرة دون حضور للجسم أو للغير.
- ✓ جوهر الإنسان هو المفكر

إقصاء كل أشكال الغيرية سواء كانت داخلية أو خارجية فلا جسد و لا العالم يحدّدان ماهيّة الإنسان.

Tunisie DEVOIR.TN

## موذج أفلاطون:

سم الوجود إلى عالمين منفصلين و مفاصلين: عالم سماوي/ المثالي - عالم مادي / المحسوسات.

و يعتبر أن الوجود الحق هو الوجود المثالي أمّا المادي فهو عرضي تنتفي عنه صفة الوجود الحق. كما يقسم الوجود إلى عالمين كذلك تتحدد صورة الإنسان على ضوء ثنائية الجسد و النفس.

- ✓ النفس جوهر ثابت /وحدة عقلية و هي محدّدة لماهية الإنسان و هي قادرة على بلوغ الحقيقة.
- ✓ الجسد رمز الرذيلة إذن هو قبر للنفس و عائق معرفي يشدّها إلى عالم المحسوسات.

⟸ الحقيقة تدرك بتخلص النفس من الجسد و ترفعها عنه و عن رغباته، من هنا كان الفلسف تدربا على الموت بمعنى تدربا على التخلص من المادة (الجسد و رغباته ).

يقول أفلاطون: "أن نفس تزدري الجسد أيّما ازدراء"

الفيلسوف يعرض عن الجسد ليهتم بالنفس

يتحدد الإنسان عند أفلاطون من جهة الوحدة العقليّة و استبعاد الكثرة الحسيّة.

الأنية تتحدد بالنفس وحده=الجسد آخر غريب

- ✓ حصر إنية الإنسان في بعد عقلاني.
- ✓ الإنسان واحد في ماهيّته.
- ✓ الذات حاضر فقط من جهة الفكر.

⟸= التأكيد على جوهرانية الأنا بماهي فكر مستقل عن العالم و الآخرين.

## نموذج ابن سينا:

ينظر ل الإنية على أنها جوهر روحاني مؤسس الإنية الإنسان. يمكن للأنا أن تدرك ذاتها عبر فعل تأملي يقصي كل أشكال الغيرية. "ارجع إلى نفسك و تأمل" الذات تدرك ذاتها دون وساطة خارجة عنها.

الحجة: برهان الرجل الطائر: "لو فرضنا رجلا معلق في الفضاء و أصبح في وضع لا يستطيع معه إبصار أعضائه أو ملامسة أجزائه فانه سيغفل عن كلّ شيء إلا عن ثبوت إنيته.

Tunisie DEVOIR.TN

## نموذج ديكارت:

حافظ على ثنائية لكنه أسس لموقف مختلف من الجسد.

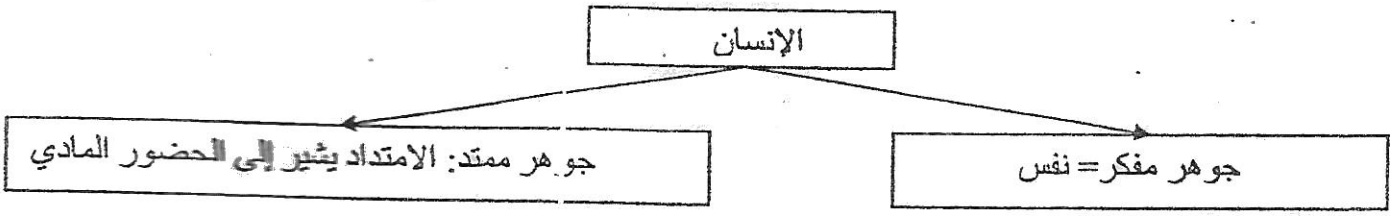


استحضار الجسد لكن مع التأكيد على أن الفكر هو قوام الوجود. "الأنا جوهر مفكر كل ماهيته أو طبيعته لا تقوم على الفكر". "إن الأنا أي النفس التي أنا بها ما أنا متميزة تمام التميز عن الجسم لا بل أن معرفتنا بها أسهل."

يستخدم ديكارت الشك لتأكيد وجوده و التعرّف على الحقيقة هذا الوجود فعل الشك يطال جميع الأشياء إلا الأنا أفكر الذي يتميز عن العالم و الآخرين و لا يحتاج وساطتهما لمعرفة ذاته و التيقن من وجودها.

⇐ تحتاج الذات إلى الانطواء على ذاتها و تتأمل فيها من الدّخل.

✓ لا قيمة للآخر في الوعي بالوجود و التحقق منه.

يميز ديكارت على ضوء هذا بين : جوهر مفكر(يتقوم بذاته و لا يحتاج إلى غيره) و جوهر ممتد (هو مستقل بذاته من جهة أنه آلة و تركيبة ميكانيكية).

**النفس: جوهر مفكر:**

العقل ميزة الإنسانية هو ملكة التمييز بين الصواب و الخطأ أعدل الأشياء قسمة بين الناس لكنهم يختلفون في كيفية استخدامه.

ماهو إنساني ؟ الإنسان النفس و ليس الجسد

التفكير وحده قادر على إثبات الوجود الواعي للإنسان.

لا يحتاج الإنسان لا للجسد و لا للعالم في إثبات انيته.

ينزل ديكارت الغير منزلة الهامش و العرضي بل قد يصبح مهدّدا للانيّة.

Tunisie DEVOIR.TN

ملاحظة نقدية :

- ✓ النظر إلى إنيّة الإنسان من زاوية أحادية الجانب تختزله في بعده الواعي فقد متغافلة عن حضور الغيرية.
- ✓ تؤسس لانيّة منعزلة متعاليّة عن الواقع و التاريخ.
- ✓ تتأسس الذات من خلال عمليّة انطواء على الذات مما يوقعها في ضرب من الأنانية (سوليبزيم solipsisme:).
- ✓ لابد من الانفتاح على الغيرية.
- ✓

3- النيّة تتحدد في حضور الغيرية:

مقاربة الانية بماهي وحدة تستوعب الكثرة و تنفتح على المختلف.

- **الحضور الجسدي:**

- ✓ يصبح الجسد هو الذات
- ✓ الجسد قدرة على التمعين
- ✓ وسيط ضروري بين الإنسان و العالم.
- ✓ الجسد هو الذات و الإنسان واحد لا انفصال فيه بين شيئين.
- ✓ يتماهى الجسد مع النفس في تحديد الآنية.

"النفس والجسد شيء واحد"

**نموذج لفيناس:**

- ❖ الجسم لم يعد هو الآخر بل هو:
- ✓ الأقرب إلينا من باقي أشياء العالم.
- ✓ الأكثر ألفة و حميمية.
- ✓ يتحكم في حياتنا النفسيّة.

⟸ هو شرط تحقق الهويّة

الحجة: في تمرين رياضي جرى تبلغ عنده الحركات درجة إتقان تكاد تكون خيالية تنذر بالموت تزول كل ثنائية بين النفس و الجسد.

الجسد شرط الإحساس بالهويّة

Tunisie DEVOIR.TN

## نموذج سبينوزا:

- ✓ القول بوحدة النفس و الجسد يفضي إلى الإقرار بالتطابق و التماهي بين الانية و الغيرية.

"النفس و الجسد شيء واحد تارة نتصوره بصفة الفكر وطورا نتصوره بصفة الامتداد."

الحجة: يعتمد سبينوزا في تأكيد أطروحته على حجة النائم الماشي الذي يكشف عن مستطاع الجسد و قدراته.

الإنسان حقيقة واحدة : نفس و جسد

يقول سبينوزا: "إن الجسد ليستطيع بواسطة قوانين الطبيعة وحدها القيام بأشياء كثيرة تدهل النفس على الدهشة."

يطرح سبينوزا تعريف الإنسان من خارج الإرث العقلاني الميتافيزيقي الذي يؤسس لثنائية النفس و الجسد معلنا عن توافق أفعال النفس مع أفعال الجسد ، إن أوامر النفس ليست شيء آخر غير النوازع ذاتها.

يقارب سبينوزا الإنسان بما هو كائن رغبة (كوناتوس: Conatus).

الرغبة:

- ✓ تعني الجهد الذي يبذله الكائن لضمان استمرار بقائه.
- ✓ هي طاقة ايجابية لإثبات الذات و حفظ الكيان و هي ما يعطي الإنسان القدرة على الوجود و الفعل.

الإنسان حقيقة واحدة = توافق الآنية و الغيرية

## نموذج ميرلو بونتي:

أطروحته تظهر في قوله "لسنا فكرا و جسدا لسنا وعيا قبالة العالم بل نحن فكر متجسّد كيان في العالم."

الآنية جسدية و الجسد قوام الوعي. ليس الإنسان مجرّد جسد أو هو مجرد وعي خالص بل هو جسد واع أو وعيّ متجسد و ليس بصورة مستقلة عنه.

الجسد ليس الجسم فالجسم أشمل دلالة من الجسد الذي يطلق فقط على جسم الإنسان المصحوب بالوعي هنا لا بّد من التمييز بين الجسد الخاص و الجسد الموضوع.

الجسد الموضوع:

- ✓ جسد عضوية/ مشترك.
- ✓ نعرفه من الخارج.
- ✓ موضوع على طاولة التشريح.
- ✓ هو ملك للذات و ليس الذات .

Tunisie DEVOIR.TN

الجسد الموضوع هو المستقل عن الذات و هو يمثل موضوع معرفة إنما يقدم لتشريح إذ يصبح مجموعة من الأجهزة البيولوجية.

## الجسد الخاص:

- ✓ هو الجسد الذاتي.
- ✓ جسدي كما أعيشه من الداخل.
- ✓ جسد التجربة
- ✓ لا نعرفه إلا عند عيشه.

"ليس لدي من سبيل لمعرفة الجسد الإنساني غير أن أعيشه" (ميرلوبونتي).

لا يمكن تمثل الوعي دون جسد و الجسد دون وعي.

الجسد له منزلة أنطولوجية رفيعة لأنه علامة حضورنا في العالم بل هو حامل الوعي، حيث يتم داخل الجسد و ليس خارجا عنه إذن الجسد وسيط بين الذات و العالم لا يتم الإدراك إلا به.

الأنا/ الذات / الفكر

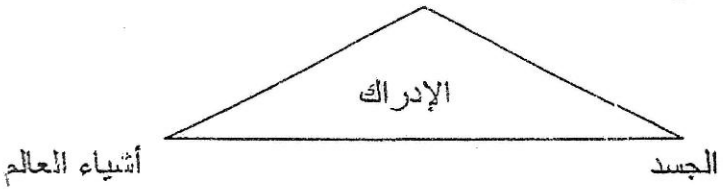


الأنية متجسدة

لا يمكن تمثل الوعي دون جسد و لا جسد دون وعي.

الانية واعية ، متجسّدة و كائنة في العالم.

ملاحظة نقدية:

- ✓ هذا الاستحضار للجسد جعل منه موطنا للفعل فأصبح مستهدفا من قبل السلطة التي اس تبعدته و نكلت به.
- ✓ إفراط في تقدير العقل.
- ✓ اعقال اللاوعي.

الحضور التاريخي:

التاريخ: مسار تعاقب زمني تترابط فيه الأحداث لتشكل الحاضر و المستقبل.

Tunisie DEVOIR.TN

الوعي نتاج اجتماعي و تاريخي.

تاريخي: هو نتاج الصراع مع الطبيعة و مع الإنسان.

اجتماعي: هو في علاقة بالواقع و بالمجتمع.

الانية إذن تتحدد في صراع مع الغيرية بمعنى جدلية قائمة على التأثير و التأثر.

التشكيك في الوعي باعتباره ماهيّة ثابتة و نهائية للإنسان لتأكيد أنه نتاج صراع:

*بين الإنسان و الطبيعة فيكون نتاجا للعقل الذي هو ما به يرتقي الوعي من طوره الحيواني الغرائزي إلى الوعي الإنساني (هو وعي تحرر من ضغط) الحاجة البيولوجية فلم يعد الإنسان يعيش من أجل البقاء فحسب بل يصنع ذاته و يؤكد تفوقه على بقيّة الأنواع.

- انعكاس للواقع المادي:

يقول ماركس: "ليس الوعي هو الذي يحدد الحياة بل الحياة هي التي تحدّد الوعي".

يميز ماركس في موقفه بين:

- ✓ بنية فوقيّة:مختلف أشكال الوعي.
- ✓ بنيّة تحتيّة: الواقع الاقتصادي بما فيه من وسائل إنتاج و علاقات إنتاج في مجتمع طبقي نسجل حضور شكلي وعي: - وعي تبريري:- زائف

-وعي توري: محرّر.

كل وعي يعكس طموح وواقع الطبقة التي تنتجه ⟵ الوعي مؤثر و متأثر.

هو متأثر باعتباره يعكس التناقضات الطبقية و يكون زائفا (ايديولوجيا) حين يبرّر مصالح الطبقة التي أنتجته الآنية التاريخية.

- حضور اللاوعي:

يعتبر فرويد أن اللاوعي يعبّر عن واقع نفسي حقيقي فيرفض موقف الفلاسفة الذين ينكرون وجود حياة نفسية لا شعورية يقول:"كلا ليس الوعي ماهيّة الحياة النفسيّة إنما هو صفة من صفاتها غيابها أكثر بكثير من حضورها."

الموقف السابق يقوم بالمماهاة بين النفسي و الواعي (النفسي = الواعي ).

أما مع فرويد فالنفسي في ذات الوقت واع و لاواعي (النفسي= وعي + لاوعي).

و يعتبر فرويد أن الحياة النفسية مركبة من:

- ✓ الهو

Tunisie DEVOIR.TN

✓ الأنا الأعلى.

✓ الأنا.

**الهو:** القسم الأعمق من الحياة النفسيّة و مضمونه مجموع الدوافع الغريزيّة الفطرية الثابتة في التركيبة الجسدية للإنسان. يتميز الهو بغموضه وعدم خضوعه لا للمنطق و لا للأخلاق و لا للزمن باعتباره لا يعترف بتأجيل رغباته و يطلب دوما الإشباع. كما انه لا يعير اهتمام للواقع.

**الأنا الأعلى:** مجموع القيم و الموانع التي اكتسبها الفرد تحت ضغط حاجته للحماية و الانتماء الأسري و استبطنها داخل ذاته. الأنا الأعلى إذن هو خصيلة التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة.

⟸ الهو يخضع للسلطة الوراثية في حين أن الأنا الأعلى يخضع لسلطة المجتمع يخضع لسلطة المجتمع لذلك تكون العلاقة بينهما قائمة على الصراع.

**الأنا:** بسبب صراع الهو و الأنا الأعلى يتدخل الأنا للتوفيق بينهما. يمثل في الحياة النفسيّة "العقل و الفطنة" فهو مركز العمليات العقليّة ر الشعورية.

هو جزء من الهو يتطور وفق تأثير بالعالم الخارجي.

**الوعي جزء من اللاوعي.**

يحرص الأنا على تحقيق الرغبات و باعتباره يرادف الوعي فانه يقترن بالإدراك، التفكير و التخطيط. لكن إذا وجد صعوبة في تحقيق بعض الرغبات فانه يلجأ إلى الكبت كآلية دفاعيّة لا شعورية.

هذا التصور دفع إلى إعادة النظر في الوعي و منزلته و تغير صورته.

**الصورة القديمة:**

✓ كانت الذات خاصة منذ ديكارت واضحة متميزة مماثلة للأنا.

✓ الأنا سيّد على ذاته و متحكم في أفعاله مقترن بالإرادة.

✓ الوعي كل الحياة النفسيّة.

✓ الأنا جوهر بسيط مساو لذاته.

⟸ الوعي يمثل الوحدة و يستبعد الكثرة، الأنية المدركة لذاتها باستقلال عن الغيرية.

مع حضور اللاوعي:

✓ تحطمت صورة الوعي.

Tunisie DEVOIR.TN

- ✓ بعد أن كان الوعي ماهية أصبح مهمة و مسارا.
- ✓ الوعي جزء ضئيل من اللاوعي استطاع أن يلعب دور رقابة الأنا الأعلى.
- ✓ الأنية كيان منفعل و محكوم بمنطق الضرورة البيولوجية و الاجتماعية.
- ✓ الانية متشكلة تاريخيا.
- ✓ الأنا خادم لأسياد ثلاث قساة كثيرا ما يعجز عن التوفيق بينهما.
- ✓ لم يعد الأنا سيد أقواله و أفعاله "ليس سيدا حتى في بيته"
- ✓ الوعي بنية نفسية مجزأة يكون فيها الوعي جريحا.
- ✓ الأنية مسرح لصراع نفسي فقدت معه وضوحها و تميزها و تحولت إلى ذات غامضة لا تعرف ذاتها بل تجهلها.
- ✓ الأنية غير مسؤولية عن أفعالها و أقوالها= محدودية الإرادة و الحرية.

⟸ لم تعد الإنية وحدة بل انفتحت على الكثرة. إنيّة متأزمة احتاج معها الإنسان إلى إعادة النظر في حقيقة الوجود الإنساني.

الصورة الجديدة:

في الحقيقة لم يحطم فرويد الوعي بل رسم صورة جديدة له أصبح معها:

- ✓ ضرورة تجاوز التحديد الماهوي و القول بأن الوعي مسار و مهمة.
- ✓ الوعي اضطر ليتسع ليتعرف بالآخر الذي هو اللاوعي.
- ✓ الوعي هو سبيلنا لمعرفة الحياة النفسية من خلال تأويل ما يظهر على ساحته من مؤشرات تدلّ على اللاوعي.
- ✓ يقول فرويد: "يبقى الوعي هو النور الوحيد الذي يستطع لنا و يهدينا في ظلمات الحياة النفسية".

⟸ التأسيس لصورة جديدة للإنسان قوامها جدلية الوعي و اللاوعي.

- الحضور الإنساني: العلاقة البينذاتية: تمرّ هذه المسألة عبر نقد فكرة مركزية الذات تأسيسا لذات انفتحت على الآخر.
  - ✓ مركزية الذات: هو موقف قائم على اعتبار أن الذات مركز العالم و أنها موطن الحقيقة و منتجة المعرفة و هو ما يؤول إلى إقصاء الآخر يتوضحه = مع الأنا أفكر الديكارتي الذي يعيش عزلة انطولوجية عن الغير.

Tunisie DEVOIR.TN

- الوعي إذن شفاف، مباشر، مدرك لذاته، منفصل عن كل أشكال الغيرية. "طالما أفكر فأنا موجود و اذا توقفت عن التفكير أتوقف عن الوجود".

✓ العلاقات البينذاتية: تأكيد الحاجة الجذرية للآخر.

موقف هيجل:

✓ الوعي ليس مباشر بديهيا و معطى بل تقتضي عمليّة الوعي هي التحرر من مركزيّة الذات و من المباشرة و التساويّ للتأكيد على أن الوعي تشكل عبر مسار تاريخي قائم على الصراع.

✓ الصراع يكون بين طرفين يريد كلّ منهما إثبات ذاته أمام الآخر و افتكاك الاعتراف منه بأنّه ذات.

✓ الوعي في حالة انغلاقه على ذاته يكون مفتقرا للحقيقة فلا تكون الذات ذاتا إلا إذا اعترفت كل ذات بوجود ذات أخرى.

موقف سارتر:

تتضح العلاقة البينذاتية من خلال تجربة الخجل "أننا نكون كما يرانا الآخرون". حيث أن الخجل لا يكون في العزلة ممّا يؤكد علاقة بذات أخرى.حضور الآخر إذن مؤثر فهو وسيط بفضله أوجد في العالم و أتعرف على ذاتي و أنيتي فالآخر ليس هو من يسلبني حريتي فحسب بل هو يحرّرني من الانطواء و يخرجني من العزلة.

موقف موران:

يقول موران "إن الحاجة إلى الآخر جذرية إذ تشهد بعدم اكتمال الأنا حينما يكون فاقدا للاعتراف به و الصداقة و الحب" و قد أكد ذلك ذلك هيقو HUGO " الجحيم كله في كلمة العزلة". و مالبرانش "أكبر عقوبة تسلط علي ان أكون وحيدا في الجنّة."

تصبح الحاجة للآخر جذرية و تصبح الكينونة مشدودة إلى الآخر تتأثر به و تتفاعل معه. فالأنا لا يستوفي حقيقته إلا في خوض مغامرة الوجود مما يستوجب الآخر.

يكشف موران عن وهم مركزيّة الذات فالذات تدرك ذاتها إدراكا مباشرا تمثله عبر حدس باطني يعي فيه الأنا بذاته فيكون أوليّا و ثابتا لكن الوعي لا يمكن أن ينبثق من هذه مباشرة بل يدرك ذاته عبر الآخر يتوسط بينه و بين ذاته و لن يكون هذا الآخر سوى ذاتا أخرى.

Tunisie DEVOIR.TN

⟸ اكتشاف الآخر يحرّر الأنا من انغلاقها على ذاتها.

الذات لا تدرك ذاتها إلا في إطار علاقة بالآخرين.

**لكن السؤال المطروح هو: أية علاقة تجمع الذات بالأخر؟ هل هي علاقة صداقة أو عداوة؟**

- ✓ الصداقة باعتبارها علاقة سلميّة هي مسلك اللقاء بالآخر و الاعتراف به نظيرا و شريكا في الوجود.
- ✓ ضمن العلاقة بالآخر تتحقق الذات و تحقق الذات انيتها بماهي حرّة و بمعيّة ذوات أخرى في عالم بنيذاتي. و البنيذاتية تتكون من لفظين:

"بين" و تفيد علاقة المعيّة أما "الذاتيّة" فتعني عودة الذات على ذاتها.

⟸ إدراك الذات لذاتها يكون من خلال علاقتها بذات أخرى إذن يقع رفض فكرة التمركز على الذات للتأكيد على أن الذات تكون موجودة بقدرما تكون الآخرين.

- يقول سارتر : "إن وجود الآخر لضروري لمعرفة نفسي و في هذه الظروف يصبح اكتشافي لذاتي هو في الآن نفسه اكتشاف للآخر و هكذا سنكتشف عالم البنيذاتيا فيه يقرر الإنسان ما يكون عليه الإنسان و ما يكون عليه الآخرون".

| |
|---|
| اكتشاف الآخر مصدر تحرّر الأنا<br><br>فيكون الآخر سبيلا لتحقيق إنسانية الإنسان. |

ملاحظة نقديّة:

لابد من الانتباه إلى أن الآخر قد يصبح مهدّدا لانيتي و معرقلا لإمكان معرفتي بذاتي.

Tunisie DEVOIR.TN

# الأنية والغيرية

## I- مقدمة :

### 1-في دلالة الأنية

الإنية( Ipséité) أو Haeccéité أوEccéitè مفهوم فلسفي قديم معناه تحقق الوجود العيني
**لغة** الإنية مشتقة في العربية من إن التي تفيد التأكيد وقد كان الفارابي أول من نبه إلى معنى الحرف "إن" في كتاب "الحروف"وبين أنه يدل على الثبات والدوام والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء .
**فلسفيا** : أطلق الفلاسفة لفظ الإنية على واجب الوجود لذاته لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود وفي قوة الوجود ويقول الجرجاني في تعريفاته "الإنية هي تحقق الوجود العيني من حيث هو مرتبته الذاتية " وقد كان الفارابي يسمي "ذات الشيء" أو"جوهر الشيء" :"إنيته"فالتعقل مثلا يدل بالنسبة إلى الإنسان على إنيته أي مرتبته الذاتية بالنسبة إلى غيره من النوع الحيواني .
وقد قرن الكندي الإنية بمعنى الفصل والخاصة فقال "والفصل هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع منبئ عن إنية الشيء فهو مقول على واحد من أشخاص الأنواع ... منبئ عن إنيتها "
وفي بعض النصوص الفلسفية وحتى الصوفية وبضرب من الانزياح المفهومي يكون المقصود من الإنية "الأنا " (je) وجملة القول إن الإنية هي تحقق للوجود العيني ومعناه قريب من معنى الهوية لأن الهوية هي التشخص أو الوجود الخارجي .والفرق بين الإنية و الماهية إن الإنية تتضمن معنى الوجود والماهية لا تتضمنه والفرق بين الإنية و"الهذية" (Haeccéité) إن الهذية تدل على ما به يكون الشيء هذا الشيء لا غيره وكثيرا ما يجيء لفظ الإنية و الهذية بمعنى واحد حتى أن "دون سكوت"(Duns Scott) جعل الهذية مبدأ التفرد الذاتي .

### 2 -في دلالة الغيرية:

تتحدد دلالة الغير في **الفهم الشائع** في الآخر ، أو الآخرين الذين يختلفون عني اعتمادا على مقياس محدد، فالغير هو المخالف لي والمختلف عني حسب معيار الجنس أو العرق، الدين ، اللغة ، الثقافة ، فالآخر أو الغير هو ذلك الذي لا يشاركني نفس الانتماء الثقافي، الحضاري، والعرقي وبذلك فدلالة الغير في النمثل الشائع والمشترك تتحدد بمعنى السلب، الآخر ليس الذات
**الدلالة اللغوية** يقدم " لسان العرب " لابن منظور تحديدا لغويا للغير حيث الغير مشتق من التغير وتغايرت الأشياء أي اختلفت، تحديد يكرس نفس الفهم المتداول على اعتبار أن الآخر أو الغير هو المخالف والمباين. أما معجم روبير فالأخر يتحدد بكونه " من ليس نفس الشخص " . غير أن هذا التحديد السلبي للأخر باعتباره المغاير والمختلف عن الأنا يبقى تحديدا مجردا غير ملموس، لا يشير إلى فرد بعينه أو جماعة معينة حيث يتم حصر الأخر في الغريب ، المغاير ، البعيد ، الأجنبي وكل من لا يشاركني نفس الهوية. فسواء داخل التحديد العربي أو اللاتيني تجعل الغير والآخر هو المخالف و المغاير وان وجد بعض الاختلاف بين التحديدين حول طبيعة الاختلاف هل هو كلي ومطلق أم اختلاف نوعي وجزئي.
أما في **المناولة الفلسفية** فان الآخر والغير يتحدد على نحو دقيق على اعتبار أن الغير هو الأنا الذي ليس أنا، كما حدد ذلك سارتر، وقد يكون تعريف الغير مسألة غير ممكنة وفق التحديد الأرسطي حيث أن الشيء أما أن يكون مطابقا لذاته أو مخالفا لها

### 3- في إشكالية العلاقة بين الأنية والغيرية:

الأكيد أن الدلالة الفلسفية للمفهوم تضعنا في مأزق حقيقي وإشكال ،حيث يصبح الغير هو الأخر وفي نفس الوقت ليس أخرا، مطابقا ومغايرا ، فان يكون الآخر هو الأنا الذي ليس أنا معناه التواجد في قلب الإشكالية على اعتبار أن الأنا في مدلوله الفلسفي هو الذات المفكرة، الذات التي تعي ذاتها بشكل مباشر عبر آلية الوعي والفكر، الوعي الذي يؤسس وجود الذات. وبمقابل الذات كانا عاقلة وفاعلة يوجد ما يحيط بالذات أي الموضوعات ( Les objets)ما يوجد خارج الذات.
فالانا لا يكون أبدا أنا الا إذا كان حاضرا أمام ذاته حضورا مباشرا وكان وعيه شخصيا وإراديا، لذا تتحدد ملامح الإشكال كيف أعي شيئا خارجا عني، على اعتبار أن الآخر هو الأنا الذي ليس أنا ، وحتى ان عرفته سيصبح الآخر موضوعا ويفقد صفة الإنسانية وكيف أعرفه كذات بعد أن أصبح موضوعا يشبه كل الموجودات الجامدة التي تحكمها



Tunisie DEVOIR.TN

بين العطالة، وليس قوانين الإرادة والوعي والحرية. يرافق هذا الإشكال حول طبيعة معرفة الآخر، إشكالا آخر ذو طبيعة تواصلية كيف أتواصل مع من تحول إلى موضوع فقد إرادته وحريته، كيف يمكن التواصل بين الأنا والغير باعتباره أنا آخر رغم الحواجز والوسائط المادية والثقافية المتباينة التي تحول دون هما ؟ فهل بالإمكان ردم الهوة الفاصلة بين الأنا والأنا الآخر دون استلاب أو عنف أو تشييء ؟

## II- في علاقة التحاور بين الأنية والغيرية

### 1- إثبات الأنية باستقلال عن الغيرية

#### أ- اليونان

إشكالية الغير إشكالية فلسفية حديثة، أصبحت انشغالا فلسفيا مركزيا خاصة في لحظة هيجل ، حيث الوعي الخاص بالذات يرتبط بوجود الآخر وفق علاقة صراعية ، غير أن مركزية الغير كموضوع في الفلسفة الحديثة، لا يعني غيابه في الإنتاج الفلسفي قبل ذلك ويمكن استحضار لحظة سقراط وأفلاطون في سجلاتهم الفلسفية مع السوفسطائيين حيث ينظر إليهم من زاوية الأخر المغاير، الأخر السلبي. (l'autre négatif)

حيث حدد أفلاطون مسافة اختلاف مع السوفسطائي كذات مغايرة ومناقضة لذات الفيلسوف من حيث :الفيلسوف الحق يعتبر الوجود الحقيقي كجوهر être ويبحث عن الحقيقة، وينشد الفضيلة بعيدا عن المصلحة، أما الأخر المغاير السوفسطائي وفق المنظور الأفلاطوني فهو المحب للظواهرL'apparaître ، ومعرفته مرتبطة بالمصلحة ، ويهتم بالآراء فهو ليس فيلسوف وإنما فيلدوق (أي محب للظن) ونفس هذا الموقف سيتبدى في فلسفة أرسطو التي ترى بأن كل موجود - بما في ذلك الإنسان نفسه - يكون بالنسبة إلى ذاته هو هو ( Le même) أي مطابقا لها ويكون بالنسبة إلى الغير آخر (L'autre) أي مخالفا له.

ولكن الآخر في الفلسفة اليونانية لم يتخذ دوما صورة أنا آخر لأن التقابل الذي أسسته هذه الفلسفة كان بين الإنسان من جهة والعالم من جهة ثانية ، الشيء الذي جعل الآخر يكون أي شيء غير الأنا ( إلها ، طبيعة ،إنسانا ) وليس بالضبط ذاتا إنسانية أخرى ، ولذا كان الأجدر مع اليونان أن نتحدث عن الآخر لا عن الغير

#### ب- ديكارت

يتبدى الموقف الديكارتي من وجود الغير ( الآخر ) من خلال الكوجيتو (Le cogito) « أنا أفكر ، أنا موجود » إذ أن الأنا الديكارتي هنا يعيش عزلة أنطولوجية عن الغير حينما يضع نفسه كأنا مفكر لا شك في وجوده مقابل الآخر ( الله والعالم والإنسان ) القابل للشك بل والمشكوك في وجوده أصلا.إن ممارسة الشك يعني أخذ مسافة بين الذات والأخر، وبين الذات وباقي الموضوعات، فالذات بوصفها ذات مفكرة لها الثقة العمياء في قدرتها العقلية والتأملية لفهم والسيطرة على كل ما يوجد خارجا عنها [ OBJET ] وتمثله بشكل شفاف ويقيني، حيث تصبح الذات العاقلة باعتبارها نورا فطريا وإدراكا هو الأساس التي تتم على أساسه معرفة الأشياء الخارجية فيما فيها الآخر.أطروحة ديكارت R. Descartes

سبقت الإشارة أن فلسفة ديكارت شكلت الانعطافة في مسيرة الفلسفة الإنسانية .حيث اعتبرها هيجر الأرض الصلبة le sol fermé الذي ستؤسس عليه الفلسفة الحديثة بنيانها ، الأرض الصلبة لن تكون إلا الذات المفكرة le sujet pensant وبالتالي سيكون الكوجيطو " أنا أفكر أنا موجود " je pense , je suis " الأساس المتين والحقيقة اليقينية الأولى لبناء الفلسفة الحديثة على أساس الذات الفردية من خلال الانطلاق من وعي الذات لذاتها كلحظة يقينية ،ودون وساطات من أحد، فالذات قادرة على معرفة ذاتها تجسيدا " لمبدأ الكوجيتو وعلى اعتباره أنه تعبير عن فعل الوعي الذاتي كنشاط حدسي.

فإثبات حقيقة الذات المفكرة تمر عبر تجربة الشك Doute ، الشك الذي يقود إلى اليقين، الشك حتى في المسلمات، حتى تصل الذات إلى الحقيقة اليقينية الأولى التي لا تقبل الشك وفي حقيقة الوجود المفكر (الأنا المفكر) واعتبارها الحقيقة التي تفرض نفسها على الفكر والعقل ببداهة ووضوح ، ومن ثم يكون وجود الأنا المفكر مستقل عن وجود الغير، لذا يصبح وجود الغير متوقفا على حكم العقل والاحتكام إلى نور العقل باعتباره الضمانة الوحيدة الموصلة لحقيقة دون الاعتماد على الحواس أو الملاحظة للإثبات وجود الغير، لأنها كثيرا ما تخطئ وتخدع يقينية العقل وخداع الحواس لذا يقرر ديكارت أن معرفة الغير أو الآخر هي معرفة عقلية ومتوقفة على شهادة العقل شهادة الحواس.

ديكارت يدشن مرحلة وحدانية الذات ( Le solipsisme أنا وحدي موجود) حيث كل ذات تعتبر ذاتها حقيقة مكتفية بذاتها ، وتملك يقين وجودها بشكل فردي عبر آلية التفكير ، فالإنسان يعي ذاته بذاته دون الحاجة إلى وساطات الغير حتى ولوكان هذا الغير مشابها لي.

الذات في التصور الديكارتي منعزلة عزلة مطلقة لا تثبت غيرها ولا تحتاج لا حد أن يثبتها لكن إلى أي مدى ستبقى



Tunisie DEVOIR.TN

ت تعيش في الاستقلال بطولي عن الآخرين ، أليست الذات في حاجة إلى الآخر لإثبات ذاتها، ألا يمكن الحديث عن الذات الجماعية بدل الذات الفردية ، الحديث عن نحن بدل الحديث عن الأنا.
يؤسس ديكارت لتجربة جديدة ، تجربة الذات العارفة التي تمنح للأشياء وجودها أو إلغائه، فوجود الأشياء مرتبط بتجربة التفكير والوعي وممارسة الشك كعملية عقلية، الشك ممارسة ذاتية لا تمارس بالنيابة يعني أن ما يتم تأكيده هو وجود الذات المفكرة وفق مبدأ الكوجيتو أنا أفكر إذن أنا موجود الأخر فهو جازا وممكن مادام فعل التفكير لا يمارس بالنيابة نيابة عن الأخر لذا فوجوده يتحدد وفق منطق الاستدلال بالمماثلة مادام يشبهني فهو موجود يؤكد ديكارت لو نظرنا إلى الناس من نافذة وهم يتحركون في الشارع فماذا نرى أكثر من المعاطف والقبعات التي تكسوا أشباحا أو ناسا باهتين يتحركون بواسطة دواليب ، فجوهر الذات هو الفكر الذي لا يتحقق إلا بممارسة تأملية خاصة، إذن فوجود الآخر جائز ذو صبغة افتراضية.

## 2ـ تأزيم الثنية : في حدود القول بتخارج الثنية عن الغيرية

إذا كان التصور الميتا فيزيقي صادر الغيرية الداخلية (الجسد) والخارجية(العالم) وذلك بإقراره بالثنائية فان هذا الخطاب سيهتز مع فكر الحداثة وما بعدها ليتأزم معه كل تصور لإنية ترانسندنتالية عن الجسد والعالم :
فلقد أنكر *سبينوزا* القول بالثنائية الأنتروبولوجية والأنتولوجية و أقرّ بأنّ النفس و الجسد شيء واحد، يعبّران عن نفس الجوهر. ما يتغيّر، هو فقط أنماط تصوّرنا لهذا الجوهر، نتمثله أحيانا كفكر و أحيانا أخرى من حيث هو امتداد.ينتج عن هذا الإقرار مماهاة بين أفعال الجسد و أفعال النفس على عكس التصوّر القديم للعلاقة بين أفكار العقل و الرّغبات والذي يعتبر الفعل الحرّ ينبني على تفكير عقلي يقوم بإقصاء الجسد و رغباته وهذا يعني انّ إنية الإنسان، متوحّدة و عينية، تتلخص في الرغبة من حيث هي "شهوة واعية"يقول سبينوزا: " انّ ماهيّة الإنسان هي الرّغبة ". و الرّغبة هي المجهود الذي يبذل حتّى يتواصل الوجود ويحافظ على بقائه، فالفعل الإنساني ليس ناتجا عن إرادة، بقدر ما هو استتباع لهوى و لميل جسدي.
أما *هوسرل* فإنه طبق المنهج الفنومنولوجي على الوعي ذلك إلى العودة بنا نحو " الذاتية الخالصة " بوصفها واهبة كل معنى فالارتداد إلى الوعي أو الشعور لا يقضي على موضوع الوعي أو الشعور ، كما انه لا يجعل من الوعي شيئا ايجابيا لكي يجعل من العالم شيئا سلبيا، و إنما هو يضعنا بإزاء مجال فريد في نوعه ، إلا وهو المجال الذي سيكون فيه لكلمة" الوجود " معنى لا مجرد معنى نسبي، وتبعا لذلك، فان كل تلك الصفات التي كنت انسبها إلى العالم كما لو كان موجودا مستقلا قائما بذاته، لن استطيع الآن أن اعرفها إلا بوصفها "ظواهر خالصة" تقع على عاتق ذهني ( أنا ) مهمة العمل على تحليلها ولكنني حين أضع العالم بين قوسين، فإنني لا أنكره بل أمارس عملية "الايبوكيا" الفنومنولوجية تمنعني تماما من أن اصدر أي حكم على الوجود الزماني – المكاني.فإذا كان ديكارت قد اتخذ من الشك ذريعة لإنكار وجود العالم، فضلا عن انه قد استند إلى "الكوجيتو" من اجل إحالة "الذات" إلى "شئ مفكر" ، فان هوسرل يرى في العالم نسيجا من الظواهر التي تستمد معناها من "الذات الترنسندنتالية" (على اعتبار أن هذه الذات هي واهبة الدلالات )، فضلا عن انه لا يرى في "الذات" التي يوصلنا إليها فعل " الكوجيتو " ذاتا تجريبية أو ذاتا عالمية، بل " ذاتا محضنة" تظل قائمة دائما بوصفها" البينة المطلقة " . ولكن هوسرل لا يسلم بوجود ذات فارغة يكون لسان حالها ما قاله ديكارت : " أنا أفكر " Cogito، بل هو يتبع الفكر بموضوعه القصدي فيقول : إنني أفكر في موضوع متعقل من حيث هو كذلك Cogito Cogitatum qua Cogitatum ، بمعنى أن الفكر لا بد من أن ينصب على موضوع متعقل يكون مثله كمثل واقعة الفكر نفسها .

## III- في ضرورة انفتاح الإنية على الغيرية.

### 1) على الغيرية الحرجية :

ينطلق *ميرلوبونتي* في عرض موقفه برفضه لموقف سارتر من علاقة الأنا بالغير مركزا على أنها - في اعتباره - ليست علاقة بين أشياء أو موضوعات بل هي علاقة بين أحياء أو ذوات . ومن ثم فإن نظرة الأنا للغير - والعكس بالعكس - لا يمكن في نظره أن تشل فاعليته وتحد من حريته وتميت تلقائيته وتقضي على إرادته... إلا إذا تقوقع الأنا حول نفسه كذات مفكرة و غض الطرف عن كل ما هو إنساني فيه وأحل الغير كموضوع تحت المجهر شأن فعل العالم إزاء الحشرة في المختبر. فهل الإنسان حشرة أو مجرد شيء ؟ وهل تتم معرفته كما تعرف سائر الأشياء ؟ ثم هل تتحدد إنسانية الإنسان وتتحقق معرفته بذاته وبغيره بالفكر وحده ؟



Tunisie DEVOIR.TN

وايا على هذه الأسئلة وغيرها يورد ميرلوبونتي مفهوم أو عملية التواصل كظاهرة إنسانية بامتياز , من خلالها وحدها يتمكن الأنا من إدراك الغير - والعكس بالعكس - إدراكا يمر عبر التفهم والتقبل الوجداني العاطفي ذي الطابع الإنساني وليس عبر التحليل والتركيب العقلي الفكري الجاف . فالتواصل المبنى على أساس التعاطف هو وحده الكفيل بخلق التعارف بين الأنا والغير و بين الغير والأنا . ومن هنا فإن الغير بالنسبة للأنا - حسب ميرلوبونتي - يبقى مجهولا ومن ثم متعاليا عن إدراكي ما دام « لم ينبس بعد بكلمة ... لكن ما أن ينطق بكلمة حتى يكف عن التعالي علي : هو ذا صوته وهي ذي أفكاره , هو ذا المجال الذي كنت أعتقد أنه يستعصى علي بلوغه. فلا يعلو كل وجود معين على الآخرين بصورة نهائية إلا حين يبقى عاطلا » أي حين يبقى بعيدا عن الدخول مع الغير في علاقات تواصل , علاقات الاعتراف المتبادل بكل منهما في فرديته وحريته كأنا قائم بذاته ...

والذي نخلص إليه من هذا هو أن هنا كذلك تكون معرفتنا بالغير معرفة ذاتية إذ أنها تتأسس على مشاعر وأحاسيس الأنا تجاه الغير , أي على مدى التعاطف الوجداني معه ، لان الآخر وعي لا أستطيع معرفته إلا إذا اعتبرته ذات إنسانية يحس ويفكر ويعي مما يعني قناة معرفته تكون عبر التعاطف معه ومشاركته في أحاسيسه والتفاعل معه في دائرة ما هو إنساني ، فلكي اعرف وأتعرف على الآخر علي أولا معرفة ذاتي لكي أعي الآخرين . فمعرفة الآخرين عن طريق العقل معناه إفقار وجودهم وتشييئهم يحدد ميرلوبونتي نظرة جديدة لمعرفة الآخر، أو بالأحرى التعرف عليه ليس من قناة المعرفة وإنما عن طريق التواصل والتفاعل والمشاركة الحية من خلال الانفتاح على الغير،لان العالم ليس هو ما أفكر فيه ، لكن هو ما أعيشه وهذا يعني أن التواصل مع الآخر لا يتم إلا بالجسد. انّ الجسد هو " شاشة بيننا و بين العالم " أو الشرفة التي منها نطلّ على الأشياء. فالجسد هو الأصل الجذري لكلّ إدراك. انّه المنطلق لكلّ مكان ( فالمكان يبدأ عند أطراف الجسد، و يمتدّ إلى أفق مجال بصر الجسد ).و بذلك يمكن الإقرار بأنّ الأشياء الموضوعيّة هي موجودة إلي بواسطة جسدي. فبالجسد أكون حاضرا إلى نفسي، و لمن بالجسد كذلك تكون الأشياء حاضرة إلي و في متناولي.إن تجربة الإدراك الجسديّة تعبّر عن التلاحم و التشابك و التداخل بين جسدي و الأشياء.يقول ميرلوبونتي: "انّ جسدي من نسيج العالم و لحمه. "فهناك اذن محايثة الإنية للحياة و للأشياء و للعالم لا تكون الا بالتخلي عن الفصل التقديم بين الإنية و الغيرية ، و إعادة النظر في دور الجسد في التجربة الإدراكية للعالم.

فإذا كانت فلسفة ديكارت الذاتيّة تنتهي إلى رسم حدود فاصلة بين الإنية( الذات المفكرة) و الغيرية(العالم )في مجال المعرفة و العلم، فانّ ميرلوبونتي، في بحثه الفينومينولوجي، يدعو إلى " العودة إلى الأشياء ذاتها ". و نحن لا نعود إلى الأشياء الا بترسيخ الفعل الادراكي، ليس في مجال الفكر و الوعي المتعالي و المستقلّ، بل في مجال الجسد ذاته. وإذا كان ديكارت يفصل بين الأنا والجسد فإن ميرلوبونتي يصرح "أنا حين جسدي " هذه اللحمة بين الأنا والجسد كان قد أسس لها *نتشه* الذي مثل منعرجا في تاريخ الفلسفة حيث أعلنها نتشه حربا حاسمة تحطم التفكير الكنائسي وتنتقد ثنائية التفكير الميتافيزيقي وتفتح آفاقا جديدة في التفكير تستعيد حكمة الجسد وجسد الحكمة. تقوم الفلسفة النيتشاوية بنقد الميتافيزيقا في اعتبارها للجسد رمز دناءة الحياة ونسيان المعرفة ومصدر شرور فما فتئ نتشه يردد" وراء أفكارك وأحاسيسك يكمن سيد قوي وحكيم مجهول يسمى الهو وهو يكن جسدك بل هو جسدك" إن الجسد في نظر نتشه هو الحياة والإحساس بأديم الأرض بينما العقل هو الموت. يقر نتشه بأهمية الجسد واعتباره مظهر ازدهار الحياة ورقيها وينفي مقابل ذلك كل تصور يميز الوعي عن الجسد يقول نتشه "إن في جسدك لحكمة هي أصوب من حكمة العقل " إن الجسد نتشه يفكر وفق الغريزة ولا يتعالى عليها فالتفكير لا ينفصل عن الجسد وعن غريزة إرادة القوة يقول نتشه "إن الجسد هو التعبير الأكمل لإرادة القوة "انه يحيا ويحس وينفعل وفقا لغريزة إرادة القوة فهو تشخيص للحياة إن الجسد الميتافيزيقي لا يفكر إذ يكتفي الفكر باحتقار الغرائز وإدانة الحياة بعد استنطاقها ومحاكمتها فتستحيل الحياة عدما بينما يقول نتشه مؤكدا على جسدا نية الإنسان "ليس هناك سوى الجسد ولا شيء أكثر من ذلك" يقول أيضا " حيث توجد الحياة توجد أيضا إرادة القوة "

واذاكان ركز على القيمة الأنتولوجية للجسد باعتبار مؤسسا للمعنى فان "*إمانويل ليفيناس*" يدعو الى الإنفتاح على تجربة الجسد لافي بعده الأنتولوجي فحسب وانما ايضا في بعده الإيتيقي فالجسد ايس غيريةكما قالت الفلسفة التصورية وليس شيئا من أشياء العالم كما يرى الماديون وليس فقط فضاء معنى كما انته الى ذلك الوجوديون، وانما هو إحساس بالهوية يقول ليفيناس " ليس الجسد الأقرب إلينا من باقي أشياء العالم فقط و لا هو الأكثر ألفة، فهو لا يتحكم في حياتنا النفسية و مزاجنا ونشاطنا فحسب. فما وراء هذه البينات الساذجة يوجد الإحساس بالهوية."

من هذا المنطلق ينادي ليفيناس الي تبني المسؤلية تجاه الجسد سواءا كان جسدنا ام جسد الآخرين فم ن الواجب تحمل المسؤولية تجاه الآخر ، أيا كان هذا "الآخر" مطلقا صرخته " الأنسان أكثر قداسة من كل الأرض الم قدسة"ويبدو ان المهمة الجديدة التي دشنها ليفيناس، تتمثل في ضرورة تغيير نظرتنا إلى "الآخر"، وفي مراجعة فهمنا لذواتنا وإعادة طرحنا لمفهوم الهوية طرحا تاريخيا، أي ضرورة أن نقطع مع كل مفهوم مفارق وميتافيزيقي وثابت للهوية، إذ لا توجد



Tunisie DEVOIR.TN

هوية عمياء تقوم في غياب " الآخر "، كما انه لم يعد من المقبول أو المعقول في عالم اليوم، أقصاء الآخر أوتهميشة أودمجه وأبتلاعه في دائرة "الأنا".وأكتشاف "الآخر" هو أهم ما عرفه الأنسان. انه تعرّف على حقيقة لا تدور حول "الأنا" أو "الذات" بلغة الفلسفة، وأدراك لكائن مماثل يحتل مساحة وجود لا يمكن للأنا أن تتمدد في فضائها. الآخر هو"اللا - أنا" الذي يحدّها ويعرفها، انه مدى الحياة المتنوعة وصور الوجود المتعددة، وحقل امكانات خصبة ومحطة توليد خيارات لا متناهية. بهذا يكون الآخر مصدر تحرر الأنا من "أنا نهائية" وحتمية، وساحة أكتشاف وتعرف، على ميدان أنتشار وتحقق جديد لها، أي يكون الآخر وسيط خروج من الذات وطريقاً للعودة إليها، ومجالا لاكتشاف النقص فيها وطريق أمتلائها في آن واحد. هو أكتشاف لخارطة وجود الأنا التي لا ترسمها الذات، بل يرسمها وضع الذات ضمن نسيج الآخرين. انه، أي "الآخر"، مشروع "الأنا" نفسها في عالم الوجود والتحقق. إلا ان معرفة الآخر، لاتحدث أو تتم، بالنظر إليه من بعيد أو من خارجه، وإنما بالولوج إلى أعماقه وبتحسس حقيقته المحتجبة وراء التصوّروهو ولوج لا يحقق إلا بالجسد ومن خلاله .

## 2) على الغيرية الداخلية:

تعتقد ***المدرسة الشعورية*** أن الغير يظل حياة نفسية باطنية يستعصى بلوغها دون منهج الاستبطان. إن المشاركة الوجدانية للغير (الحزن لحزنه أو الفرح لفرحه ..الخ) لا تكفي وحدها للشعور بما يشعر به ... فمن دون إرادة من الغير للإفصاح عن ذاته بكل صدق وأمانة تكون معرفته غير ممكنة . أما ***المدرسة اللاشعورية الفرويدية*** فترى أن هذه الرغبة الصادقة وحدها لا تكفي، لأن الأنا تجهل جانبا مهما من حياتها النفسية (أي خبايا اللاشعور)، والوصول إلى مكامن النفس الخفية هذه يكون مستحيلا دون اللجوء إلى التحليل النفسي (الحاجة إلى الغير ).

إن هاذين التصورين لا يحظيان بالإجماع، لأن هناك من يرى أن معرفة الغير ممكنة عن طريق البرهان بالمماثلة، أي أن الغير ليس بأنا غريب ومتعال : إنه صورة من أناي. ومن ثمة، حين أعرف ذاتي أستطيع أن أسقطها على الغير. لكن ألا يمكن اعتبار الإسقاط جهلا بالذات، ما دامت المدرسة اللاشعورية تعتبره نوعا من الميكانزمات الدفاعية ؟

إن الاختلاف الحاصل حول معرفة الغير يمكن أن يتجاوز، في نظر شيلر Scheller ، في الاعتقاد أن الغير لا يتشكل من ثنائية، جزء منها خفي وآخر ظاهر ؛ أو شطرين " أحدهما مخصص للإدراك الداخلي والآخر للإدراك الخارجي "، لأنهما في العمق مترابطين، فالغير كلية تتمثل من خلال مظاهره الخارجية، ونستطيع معرفته معرفة كلية ، فالغير ليس بأنا غريب ". "

إن موقف ***شيلر*** هذا أطلق عليه « اسم " المذهب الإنساني " أو " المذهب الإرادي ". ولقد كانت فكرته الرئيسية هي أن جميع الأنشطة الإنسانية لا تصاغ و لا تفهم إلا بالرجوع إلى الأهداف الإنسانية , وأن ذلك ليصدق على التفكير صدقه على الفعل » . فإذا كانت علاقة الأنا بالغير علاقة صراع وحرب حسب هيجل , أو علاقة حياد ولا مبالاة حسب سارتر , أو علاقة تواصل وتعاطف وجداني حسب ميرلوبونتي فإن هذه العلاقة حسب شيلر تعرف صعوبة في التحديد نتيجة اعتياد الأنا على اعتبار الغير مجموعة حركات و سلوكات جسمية ظاهرة وكذا مجموعة مشاعر وأحاسيس نفسية خفية . ومن آثر الوقوف على هذه الثنائيات ( جسد / نفس , ظاهر / باطن , سلوك / مشاعر, سطح / عمق, خارجي / داخلي , صريح / ضمني ...) لن يستجلي حقيقة الغير كما هي في الواقع. بل سيتيه فيما سيتصوره من مفارقات ناتجة عن هذه الثنائيات ذاتها.

والحل الذي يقترحه علينا شيلر هو اعتبار الغير كلية (Une totalité) لا تقبل التجزيء فهو إذن كل موحد لا يتبعض إلى ثنائيات , ومن ثم فإن مختلف سلوكاته الجسدية (أفعاله و أقواله) حاملة لمقاصده ونواياه النفسية ودالة عليها , فلا داعي إذن إلى اللجوء إلى الاستبطان (Introspection) أو الإستدلال بالمماثلة لمعرفة الغير وفهمه بل يكفي أن نعتبر الغير « موضوعا يكون في ذات الوقت في متناول الإدراك الخارجي والإدراك الداخلي: والواقع أن هذين المحتويين يتعلق أحدهما بالآخر ويترابطان برباط جوهري يستمر ويبقى حتى حين أحاول أن أدرك نفسي ».

وهكذا فالجسد والنفس لا يشكلان ثنائية (كما هو الأمر عند ديكارت) فبالأحرى ضدين بل هما معا شيء أو كيان واحد يعتبر الجسد شقه الخارجي والنفس شقه الداخلي وهما (أي الشقان معا) منسجمان متسقان لا تباين بينهما . ولكن السؤال الذي يظل مطروحا هو: إلى أي حد يمكن اعتبار الجسد من خلال مختلف حركاته وعلاماته مرآة صادقة وأمينة تعكس مشاعرنا النفسية الدفينة دون حيف أو زيف ؟ ألا يمكن للغير أن يسئ التعبير أو للأنا أن يسئ الفهم ؟

وفي نفس هذا الإطار الرامي إلى تجاوز هذه الثنائيات يرى ***جيل دولوز*** بأن الغير ليس مجرد فرد مشخص بعينه بل الغير بنية (Structure) أي نسق منظم من العلاقات والتفاعلات في ما بين الأشخاص / الأفراد كأغيار. وهكذا ففي اعتقاد دولوز « يكمن خطأ النظريات الفلسفية في كونها اختزلت الغير تارة إلى موضوع جزئي وتارة إلى ذات... لكن



Tunisie DEVOIR.TN

لآخر ليس موضوعا في حقل إدراكي الحسي , ولا ذاتا تدركني إدراكا حسيا : إنه أولا بنية الحقل الإدراكي , لولاها لما أمكن لهذا الحقل أن يشتغل كما يشتغل بالفعل » . فأنا - مثلا - حينما أدرك الأشياء المحيطة بي لا أستطيع إدراكها كلها من جهة ومن كافة جوانبها من جهة ثانية. وهذا يفترض أن هناك آخرين ( أغيار) يدركون ما يتعذر علي إدراكه وإلا بدت هذه الأشياء وكأنها تنعدم حين لا أدركها وتعود إلى الوجود حين أدركها , وهذا مستحيل . إذن لا بد من وجود الغير لا كذات أو كموضوع بل كشريك لي في إدراك الأشياء ( العالم ) , فهو يوجد كهامش على مجال إدراكي , هامش يحيط بالممكن الإدراكي في مقابل الأنا الذي يحيط بالمدرك الفعلي . وبهذا يكون الممكن الإدراكي تخيليا حين يغيب الغير عن مجال إدراكي وفعليا أثناء حضور الغير وخاصة في وجهه : « فالممكن الإدراكي بالقياس إلى المدرك الفعلي , هو الذي يحدد مفهوم الغير كبنية » .من هذا كله نستنتج بأن معرفة الغير ليست بالأمر الهين إذ أنها لا يمكن أن تختزل إلى مجرد علاقة ذات بموضوع كما هي علاقة العالم بباقي ظواهر العالم . بل هي علاقة جد معقدة إذ يتخللها النفسي والاجتماعي, الفردي والجماعي, الوجداني والعقلي, الاقتصادي والسياسي... ومن هنا نفهم قولة كارل ماركس « الإنسان هو مجموع العلاقات التي يدخل فيها » وهذه العلاقات تتعدد وتتنوع بتعدد وتنوع الغير ذاته.

## IV - علاقة الأنية بالغيرية صراع أم اعتراف ؟

أن العلاقة بين الذات والغير هي علاقة مركبة ومعقدة لان مضمون هذه العلاقة يتراوح بين الصداقة والكراهية ، الحب والعداوة ، التعصب والتسامح الوفاء والخيانة ، إجمالا يمكن الحديث عن نموذجين لهذه العلاقة : العلاقة الإيجابية ، العلاقة السلبية وبالتالي نتساءل لماذا يرتبط الأنا بالآخر برباط الصداقة هل بناءا على غاية أم اعتباره غاية في ذاته، أم لأنه يشبهنا أم هو ضدنا ؟ أم هو مفيد لنا ... وفي نفس الوقت لماذا نرفض الآخر ونحاول إقصاءه وتكون علاقتنا معه علاقة صدام وكراهية ؟

يؤكد **مالبرانش** : على أن " اكبر عقاب لي هو أن أعيش وحيدا في الجنة" ، فالإنسان كائن اجتماعي يحي وفق تجربة العيش المشترك كتجربة أساسية تميز العيش الإنساني، فالإنسان في نظر أرسطو كائن سياسي يعيش مع الأخر تجربة التمدن مادامت تجربة الوحدة تجربة قاسية تفرض على الذات كعقوبة، السجن الانفرادي أو النفي ،مثلا ، فتجربة العيش المشترك أو التمدن تعني أن يكون الفرد مدنيا يحي حياة اجتماعية ويحترم قوانين المدينة ويدافع عليها ويؤسس لعلاقة الصداقة كفعل وكاختيار واعي لذات بالأخر في علاقتها بالأخر، غير أن الواقع الاجتماعي واليومي يبرز أن العلاقات الاجتماعية ليست هي علاقة احترام وتضامن كثيرا ما يصبح العنف والإقصاء والكراهية هي أساس العلاقات والتعامل الإنساني. عموما يمكن رصد نموذجين لهذه العلاقة:

### 1) الأنية واعتراف بالغيرية

يعتبر **هيجل** أن الأخر ضروري لوجود الذات ، مادام الإنسان يعيش في علاقة معه أكثر ما يعيش في فرديته الخامسة، فالوعي حسب هيجل هو وعي شقي يتطور وينمو من اجل بلوغ مرحلة الاكتمال بطريقة جدلية، فالوعي ( الفكر/ العقل ) – ومن خلاله الأنا - ليس كيانا ميتافيزيقيا مجردا ثابتا مطابقا لذاته مستقلا بها عن غيره ومعطى جاهزا وتاما منذ البدء , بل الوعي عند هيجل كيان يتكون وينمو و يتمظهر ويتجلى في المعيش اليومي باستمرار انطلاقا من الوجود الطبيعي الحيواني للإنسان إلى أن يصل أعلى درجات التطور ( المطلق ) عبر مختلف لحظات الصيرورة الزمكانية - التاريخية ... ففي البدء ينحصر إدراك الإنسان لذاته في الإحساس المباشر ما دام غارقا ومنغمسا في الحياة العضوية، حيث يحيى بشكل حيواني من خلال غرائزه ومهمته تنحصر في الحفاظ على حياته الجسدية في هذه المرحلة تكون علاقته بالوجود والطبيعة علاقة مباشرة وحسية حيث يلغي كل ما هو مغاير له ولا يعترف إلا بحقيقته كذات (مرحلة الأطروحة )، في حين الآخر هو كذلك يملك حقيقته كذات ، وبعد مرحلة الإحساس المباشر يغمل الإنسان على تجاوز هذا الوجود الحسي حين تنتصر رغبته الإنسانية على رغبته الحيوانية ، هو ما يعني أن تصب رغبات الذات على رغبة ذات أخرى وليس على شيء طبيعي هذا الوضع يولد صراعا مع الآخر من اجل إشباع الرغبة وهو صراع من اجل الاعتراف على اعتبار ان تحقيق الوعي بالذات يعني نفي رغبة الآخر مادامت الرغبة الإنسانية لا يتحقق إشباعها إلا عن طريق عملية النفي والقضاء على ما ليس " أنا " فالإنسان يتغدى على الرغبات ، رغبات الآخرين عكس الحيوان الذي يتغدى على الأشياء والإنسان لا يصبح كذلك إلا في حالة انتصار رغبته الإنسانية ، الرغبة في السيادة على رغبته الحيوانية / الرغبة في الحياة ، مع العلم أن كل رغبة هي رغبة في قيمة ما ، فرغبة الحيوان تتمثل في قيمة الحفاظ على قيمته الحيوانية / الاشباع الغريزي ، أما الإنسان فانسانيته مشروطة بعنصر المخاطرة برغبته الحيوانية / التضحية بالجسد من اجل رغبته الإنسانية / الرغبة في السيادة ، لذا تدخل الذوات في صراع رغبات ، صراع حياة أو موت ، صراع من اجل الاعتراف ، هذا الصراع هو ما ينتجه عنه أو علاقة إنسانية : علاقة السيد والعبد ، المنتصر والمخاطر بحياته الحيوانية يصبح سيدا ، أما العبد فيرغب في الحفاظ على حياته من داخل هذه العلاقة الصراعية ينشئ الوعي بالسيادة والوعي



Tunisie DEVOIR.TN

بالعبودية غير أن الموت الفعلي لا يحقق الاعتراف وإنما استسلام أحد الطرفين حين يفضل الحياة عن الموت ، فالمنهزم / العبد اختار الحياة بذل الموت ، أما السيد المنتصر فهو الذي اختار الحياة من خلال الأقدام على الموت وطلبها والتضحية بحياته/أطلب الموت توهب لك الحياة.

إذن لا يمكن للوعي البشري، الوعي بالذات والوعي بالآخر أن يتشكل إلا إذا تواجهت رغبتان على الأقل ، حيث كل كائن مستعد أن يذهب إلى ابعد حد لإشباع رغباته والقضاء على رغبات الآخر ونفيها . وفق هذه العلاقة الصراعية ينشئ وعيان : وعي السيادة وعي العبودية .إذن لا بد من أن ينتهي هذا الصراع بتفضيل أحد الطرفين الحياة على الموت ، وحينها سيستلم للآخر و يعترف به . وبهذا تنشأ العلاقة الإنسانية الأولى : علاقة السيد بالعبد ، الأول مستقل بذاته موجود من أجلها والثاني تابع للأول وموجود من أجله .

ومن هذا نستنتج - مع هيجل - بأن لا وجود للأنا ( وعي الذات ) والغير ( وعي ذات آخر ) في استقلال عن بعضهما . إذ أن الأنا والآخر ينبثقان من علاقتهما ببعضهما وليس قبلها . ومعنى هذا أن الأنا لا يكون أنا إلا بالعلاقة مع الغير( أنا الآخر ) وإن كانت هذه العلاقة علاقة صراع وحرب . فوجود الغير إذن وجود ضروري لوجود الأنا ولا يمكن اعتباره وجودا جائزا وبالأحرى قابلا للشك كما ادعى ديكارت . وفي هذا يقول هيجل « فبما أن كلا منهما من أجل ذاته فليس هو الآخر . ولكن كلا منهما يظهر في الآخر ولا وجود له إلا بوجود الآخر » .

ونفس هذه النتيجة ينتهي إليها سارتر رغم اختلاف تصوره للعلاقة مع الغير عن التصور الهيجلي يقول سارتر. « لكي أتوصل إلى حقيقة كيفما كانت حول ذاتي، لا بد لي أن أمر عبر الآخر ( الغير). إن الآخر لا غنى عنه لوجودي ، كما لا غنى لي عنه في معرفتي لنفسي »

## 2) الإنية كصراع مع الغيرية :

يعرف سارتر بأن الغير هو الآخر أو الأنا الآخر أي الأنا الذي ليس أنا . وبين الأنا وما ليس أنا هناك ال " ليس" كنفي يشير إلى العدم ، عدم يفصل بين الأنا والغير ، عدم يتمثل كهوة لا تعبر ، هوة ذات طابع مادي واقعي مكاني (جغرافي) يقاس بالأمتار والكيلومترات أو ذات طابع معنوي نظري فكري (ثقافي) يقاس باختلاف الرؤى و الأفكار والتصورات ... هذا بالإضافة إلى أن الغير يتبدى للأنا مثلما أن الأنا يتبدى للغير كجسم مادي محسوس أي كشيء يدرك شأنه شأن سائر الأجسام / الأشياء .والنتيجة الخطيرة التي تنحدر منطقيا عن مثل هذا الافتراض هي أن كينونة الأنا لا ينبغي أن تتأثر وتتفعل بكينونة الغير و العكس بالعكس تماما مثلما هي علاقة سائر الأشياء بعضها ببعض. فإذا كانت الطاولة لا تفرح لميلاد الكرسي وهذا لا يحزن لاختفاء الطاولة فإن على الأنا ألا يتأثر لظهور أو اختفاء الغير والعكس صحيح . وبهذا المعنى تصبح علاقة الأنا بالغير لا علاقة إنسانية - بالمعنى المتداول - بل علاقة لا إنسانية ، علاقة حياد أو بالأصح علاقة تشييئية معها يتحجر الأنا تحت نظرة الغير ويتحجر الغير تحت نظرة الأنا ، هكذا إذن يصبح كل منا ( الأنا والغير) بالنسبة إلى الطرف الثاني موضوعا تحت المراقبة و المحاسبة والملامة و لربما العقاب . وبهذا المعنى نفهم قولة سارتر المدوية : « الجحيم بالنسبة لي هم الآخرون » .

وهكذا نصل - حسب سارتر - إلى أن معرفة الغير لا تتبنى على ما هو عليه كذات تتمتع بالحرية والإرادة و الاستقلالية و الوعي والفاعلية والعفوية والقصدية ... بل تتبنى على كيفية تصور الأنا لهذا الغير كموضوع معطى للإدراك الحسي .وهذا يعني أن الغير كصورة في ذهني ليس نسخة طبق الأصل الموجود بالفعل أي ليس هو ما هو في الواقع بل هو صورة من رسم الأنا ، صورة ملؤها الانطباعات الحسية للذات العارفة ، صورة مطبوعة بالذاتية Subjectivité . وفي هذا يقول سارتر : «.. علي أن أكون الغير بوصفه تلك الوحدة التي أضفيها بتلقائيتي ( حساسيتي وإدراكي ) على كثرة متنوعة من الانطباعات الحسية ، أي أنني أنا الذي أكون الغير ضمن حقل تجربتي . ولن يكون الغير حينئذ ، سوى صورة ( ذهنية ) ...» من وحي الأنا.

## VI. خاتمة

تضعنا هذه النماذج الفلسفية أمام إشكالية العلاقة المتوترة مع الأخر باعتباره مصدر خطر وغواية لذا يصبح العنف والإقصاء الطريق الأمثل لتعامل معه.

إذن النظر إلى الأخر كغريب يعني التعامل معه بمنطق الهوية المغلقة حيث اعتباره عدوا يخالف ويهدد وحدة وتماسك الجماعة باعتباره كائن غريب ، لذا الحفاظ على وحدة الجماعة وتماسكها يستدعي معاداته والحذر منه.

الغرابة إذن في إطار العلاقات الاجتماعية المتداولة شعور قد تدفع الأنا الفردية أو الجماعية إلى إقصاء الغير أو تدميره أو الشعور بالعدوانية تجاهه أو على الأقل مقابلته باللامبالاة والتهميش. أن الدوافع نحو الغريب هي في الغالب دوافع سلبية. إنها تلك المواجهة الدائمة التي تؤدي إلى دابة الاختلاف لصالح الذات ، فالتعامل بمنطق الهوية المغلقة يعني اعتبار الأخر الغريب خصم وعدو يجب محاربته والقضاء عليه وهو ما يولد توترا وصراعا في العلاقات الإنسانية.



Tunisie DEVOIR.TN

# تمـــــــــــارين حول الإنية والغيـــــــــــــرية

- **تمرين عـــــ1ـــــدد:** " الجسد جزء من الإنية" أكشف عن مسلمة ضمنية لهذا الموقف

يفترض هذا الموقف كون الانية مركبة ومتعدد الأبعاد بما يتجاوز القول بالإنية البسيطة التي تختزل في الجوهر المفكر المتعالي عن كل وجوه الغيرية.

- **تمرين عـــــ2ـــــدد:** " لا يوجد الوعي حقا إلا إذا انخرط في العالم" أكشف عن مسلمة ضمنية لهذا الموقف.

يفترض هذا الموقف تهافت الخطاب الميتافيزيقي الذي يحدد الإنية بما هي جوهر مفكر بسيط وشفاف ليؤكد على كون الإنية لا تفهم إلا في سياق العالم وما يقتضيه ذلك من مهمة يكون الوعي بمقتضاها فاعلا،ويكون بمقتضاها العالم أفق تحقق الإنية.

- **تمرين عـــــ3ـــــدد:** استشكل الموقف السابق

**الاستشكال:** على أي نحو نفهم حقيقة الوعي؟ هل من جهة كونه وعي مستقل ومتعال عن العالم أم من جهة كونه منخرط في العالم؟إذا سلمنا بضرورة ارتباط الوعي بالعالم،فهل يستوفى هذا الارتباط حقيقة الوعي؟

- **تمرين عـــــ4ـــــدد:** " إن الجسد إحساس بالهوية" أكشف عن تبعة لهذا الموقف

لهذا الموقف الذي يعتبر الجسد إحساس بالهوية تبعات أهمها كون الإنية ليست تجريدا وإنما هي تجسيدا وتعيينا حسيا يجعلها في خضم الصيرورة والتبدل.

- **تمرين عـــــ5ـــــدد:** " إن جسدك لهو عقل عظيم" قدم حجة تدحض هذا الموقف.

اعتبار الجسد عقل عظيم أمر يرتاب منه بحجة أن انفلات الرغبات والشهوات من شانه أن يسقط الإنسان في البهيمية والترهات فينزلق إلى الحماقات.

- التصرف وفق ما تمليه رغبات الجسد من شانه أن ينزل بالمرء إلى درجات الحيوانية، فتلبية الحشد المتدافع من الشهوات والرغبات يخرج المرء من الانضباط الأخلاقي فيسلك بشكل عدواني في علاقة بالآخرين

-

- **تمرين عـــــ6ـــــدد:** "إن الوعي هو كل وجود الإنسان" قدم حجة تدحض هذا الموقف

اعتبار الوعي كل وجود الإنسان أمر بات يرتاب منه بحجة أن هناك رغبات تنفلت من سلطة العقل ويتجلى ذلك من خلال بعض السلوك الذي لا يليق بمقام الإنسان ،لقد كشف التحليل النفسي أن العي لا يغطي مجال ما هو إنساني في الإنسان، وان ما تكشف عنه الأحلام وزلات اللسان برهان على ذلك.

- **تمرين عـــــ7ـــــدد:** " إن الإنية مشروع" استشكل هذا الموقف

Tunisie DEVOiR.TN

**الاستشكال:** كيف تفهم الإنية؟ هل من جهة كونها معطاة بشكل مسبق؟ أم من جهة كونها مسار على درب التحقق باستمرار؟إذا اعتبرنا كونها مشروع فما هي شروط ذلك؟

- **تمرين عـــدد 8:** " الأنا لم يعد سيدا في بيته" قدّم حجة تدعم هذا الموقف

اعتبار الأنا لم يعد سيدا في بيته تدعمه جملة من الحجج من بينها أن التحليل النفسي قد كشف عن بنية للجهاز النفسي فقد معها الأنا الموقع الذي كان يشغله في التصور الميتافيزيقي حيث كان مكتفيا بذاته دون حاجة إلى وجه من وجوه الغيرية، لقد أصبح يشغل موقع الوسيط بين قوتين متناقضتين، الهو وما يمثله من رغبات والنا الأعلى وما يمثله من رقابة.

- **تمرين عـــدد 9:** " أنا لا أملك جسدي أنا جسدي" أحدد مفهوم الجسد ضمن هذا السياق.

لقد ظل الجسد في الأفق الميتافيزيقي كائنا هجينا وغريبا من صورة الإنسان وفق منطق أنطولوجي لا يعينه إلا منزلة الوجود الحسي عنوان الصيرورة والتبدل وعنوان الكون والفساد، وهو ما أفضى في ذات الوقت إلى كونه محرج من الناحية المعرفية حيث لا تحصل به معرفة ثابتة فضلا عن الحراج الأخلاقي حيث يكون مصدر الرذيلة والخطيئة.هذا من ناحية ومن جهة أخرى مثل الجسد متاع أو هو ملكية شانه شان ما يمتلكه المرء كما لو كان شيئا من الأشياء، غير أن هذه التصورين بات يرتاب منهما في ضوء تصورات تقضي بكونه جوهر كيان بمعنى أنني لا أكون إلا بما هو الكينونة ذاتها الإنية إذن لا تفهم إلا بما متجسدة في العالم.

- **تمرين عـــدد 10:** " ليست انيتي من طبعي وإنما من إبداعي" أكشف عن تبعة لهذا الموقف.

اعتبار انيتي من إبداعي وليست من طبعي تكشف عنه كوني مسئول عما تؤول إليه حياتي ووجودي، بحيث أنني حر في تشكيل ذاتيتي ولكني آخذ على عاتقي ما أختاره لنفسي.

- **تمرين عـــدد 11:** " الغيرية هي الوسيط الضروري بيني وبين نفسي". أقف عند دلالة
- الغيرية في سياق هذا الموقف.

ظلت الغيرية منذ مغارس النصوص الفلسفية القديمة أمر مرتاب فيه لأنها لا تدخل إلى الإنية إلاّ مخرّبة، فهي ما يتعين الفرار منه قدر المستطاع وذلك لاعتبارات انطولوجية ومعرفية وأخلاقية،بحيث يكون الشعور بالذات دون وساطتها غير أن اعتبار الإنية على هذا المقام لم يعد مقبولا سيما في ضوء تصورات كشفت استعادت ما هو منسي من كياننا ووقفت على تعدد أبعاد الذات من ذلك أن للغيرية وجوه هي من لوازم الإحساس بكينونتنا إذ كيف يمكن أن ننكر منزلة الجسد من وجودنا ومنزلة العالم باعتباره أفق الفعل الإنساني الذي سيقودنا إلى مقام الآخر باعتباره شرط إدراك انيتي مثلما هو الشأن في الصداقة والحب.

- **المساءلة: هل من ضرورة للغير ؟**

Tunisie DEVOIR.TN

سنكون إما اقل من آدميين أو أكثر من ذلك،فالضرورة تمليها كون الأنا كائن الحاجة وكائن النقص فهو في عزم دائم لملء النقص،فيكون الغير إشباع للحاجة دون أن نفهم الحاجة نقيصة الذات.أضف إلى ذلك فالغير ليس دائما هذا الشخص الذي ادخل وإيّاه في علاقة يثبتني فيها وأثبته مثلما الحال في الحب أو في الصداقة ا وفى الممكن اللامرئي في الممكن المتخيل،المستقبلي، الذي انشده فيفرحني واهف والى التطلع إليه اتسرّع الزمن إلى بلوغه مثل الحلم تماما مسرحا لوجه الآخر المتخيّل.المتخيّل وجه للغير يشدّني إلى الحياة فأطارده بغاية الإمساك به، هكذا يرى جيل دولوز أن وجه الغير ليس بالضرورة الوجه أمامي وقبالتي بل الوجه المأمول الممكن.

إذا كان الغير على هذا المقام وهذه الدرجة من الضرورة فان ذلك ما تستدل عليه الحياة ووقائعها،غير أن تقريظ الغير ورفعه إلى مقام الضرورة ودفعه إلى الحد الأقصى من التثمين يظل تصورا أو هو إحساسا مرتاب منه إذ قد لا يكون الغير بإطلاق مجال ضرورة لأنه قد لا يكون الغير كله، والنعيم دائما،قد يكون الجحيم كله أو الجحيم بعضه،فماذا لو تحول الغير جلادا؟ وماذا لو تحوّل قيدا، وماذا لو تحوّل سلطة توثق الذّات.أفليس الغير بهذا الشكل ما ينبغي التنصّل من ضرورته فنؤثر الوحدة على اللّقاء به،لذلك قد نجد الأنا منزعجا لحظة يطل عليه وجه الغير صديقا، مهيمنا وحينها قد يندم الأنا على انفتاحه وفي داخله إحساس بذنب الرهينة.

تتراوح العلاقة بين الأنا والغير بين التآلف حينا والتوتر أحيانا أخرى ،وتستمر رحلة البحث عن الذات، رحلة بقدر ما فيها من ممتع بقدر ما فيها من إضناء،ولن تكون لا الذات ولا الغير آدميين لو يجري الأمر خلاف هذا التلاعب بين التقارب و التوتر،لنخلص إلى القول بان قدر الإنسان هو العيش معا،والحكمة في تدبّر العيش سلام.

**من إعـــــداد الأستاذ: اليـعقـوبي**

Tunisie DEVOIR.TN